محمد حشمت

سنموت بعد قليل

مقدمة لحرق الأحداث

دعني أحرق لك الأحداث..

ولكي تبدأ قصة.. عليك طرح سؤال يداعب الأذهان.

ماذا لو كان هناك هاتف يمكنه السفر عبر الزمن؟

هاتف ككل الهواتف, به ساعة وتقويم، ولكن الفرق أنك إذا حاولت تغيير الساعة أو التاريخ به ستنتقل إلى الزمن الذي ضبطت الهاتف عليه. بمعنى أنك لو امتلكت هذا الهاتف، وشعرت بالبرد، يمكنك تغيير الوقت إلى الظهر، وستغدو الشمس فوق رأسك في الحال، أو تغيير التاريخ والترحال إلى أغسطس المرير..

بالطبع تقويم الهاتف يحتوي على تواريخ تمتد إلى عصور مظلمة، عصور ما قبل الإنسان، يمكنك إلقاء نظرة على الديناصورات، ولكن إيّاك وقتل الفراشات.

سيضمن لك هاتفك الجديد أوقات ممتعة، ولكن مشكلتك ستبدأ عندما تنتقل إلى عام ١٨١١, لتلقي نظرة على مذبحة القلعة، لتكتب عنها قصة تاريخية، سيعجز المؤرخون بعد قرائتها أمام براعتك في جلب أدق التفاصيل التاريخية.

فذهبت إلى منطقة القلعة، واخترت التاريخ المعروف، في اللحظة التالية وجدت نفسك تتمشى بين حشد من الرجال بكروش ضخمة، وأمامكم باب القلعة يغلقه رجال محمد علي باشا، يغلقوه في وجوهكم. فتلتفت لتجد محمد علي يجلس خلفكم وفي عينيه نظرة تعرف جيدًا ما تشي به..

فتلتقط هاتفك بسرعة قبل أن يلقي حاكم مصر إشارته.. تختار تاريخ حاضرك.. وقبل أن تضغط ضبط.. تنفذ بطارية الهاتف!

وعندما تنفذ الرصاصة برأسك، ستتذكر طفولتك، عندما سرَت بجسدك

قشعريرة غامضة أمام صورة محمد علي باشا، وتكررت في المدرسة، أثناء حصة التاريخ التي تناولت مذبحة القلعة.. وتفهم الآن أن الحصة كانت عن مراسم قتلك الذي سيحدث في الماضي.

النهاية..

تمت بحمد الله.

لا تقلق، لم أحرق لك شيئًا، ولكن حاولت وضعك في العالم الذي ستدور به أحداث قصتنا.. ما زال لدينا هاتف ملعون، لديه قدرات تتعلق بالسفر عبر الزمن، ولا زالت القصة طازجة لم أحرقها لك.

رحلة سعيدة..

***

الفصل الأول

«بتسألي كتير يا عارفة؛ هتبقي اسم على مُسمى».

رددها والدها بحب وداعب شعرها البني كلون شعره، تأمل ملامحها الموروثة منه، وعينها التي تحمل فضول والدتها، ثم قرر أن يجيب سؤالها:

- بابا مش هيروح الشغل النهاردا،وهيقعد يلعب هو وماما مع عارفة حبيبته طول اليوم.

بعثت إجابته ابتسامة صافية على وجهها. وبالفعل قضت عارفة هذا اليوم رفقة والديها، كان يومًا بطعم الحلوى ويعج بالألعاب وحوادايت قبل النوم، والأحلى أن والدها تركها تلعب على جهاز الكمبيوتر الخاص به والذي يباشر به أعماله.

تتذكر أدق تفاصيل هذا اليوم، لم يكن ثمة شيء قادر على محو ابتسامتها، احتفظت بها منذ إجابة والدها في الصباح وحتى خلدت

إلى النوم في النهاية.

كان أسعد يوم في حياتها. وأدركت عارفة فيما بعد أن ليس جيدًا المرور بأسعد أيام حياتك باكرًا، لأن هذا يضمن لك المزيد من التعاسة فيما تبقى.

ولأن في صباح اليوم التالي تغير كل شيء. استيقظتعارفة لتجد والديها على وشك السفر، يرتديان زيًا أبيض، يحملان الحقائب، وينظران في الساعة كل لحظة بملامح جادة.

أدركت أن لا مزيد من اللهو اليوم، وما هي سوى لحظاتوصارت في المقعد الخلفي لسيارة والدها، تراقب البيت يبتعد عنهم ولا تعرف أنها لن تراه مرة أخرى.

ولحظات أطول وصارت في بيت جدتها، وهناك اصطدمت بالواقع؛ لن تسافر معهما.. بل ستعيش مع جدتها حتى عودتهما، لأنهما ذاهبان لفعل شيء ديني يسمونه (الحَج). عرفت هذا من جدتها فيما بعد.

وهكذا راقبت رحيل والديها والدموع تحتشد في عينيها، لم يتركا لها سوى ليلة أمس وبعض القُبلات والتحذيرات. وشعرت عارفة أثناء ابتعادهما بذات الشعور الذي راودها وهي تراقب البيت من خلف زجاج السيارة. وبالفعل.. لم يظهرا مرة أخرى، انقلبت بهم السيارة في حادث مروع قضى على الجميع.

ومنذ ذلك الوقت، ازدادت الأسئلة في رأسها الصغير، ولم يعد لديها سوى جدتها لتطرحها عليها. وهكذا صارت إجابات جدتها نواميس الكون وحقائقه، وغدت نظراتها الودودة ووجباتها الساخنة هي الكون ذاته. وقضت جدتها ما تبقى من حياتها تقدم لعارفة الاهتمام والحب والوجبات الساخنة وأجوبة أسئلتها.

ومنذ التحاق عارفة بالمدرسة وخروجها إلى العالم، وهي تعود كل يوم وفي جعبتها المزيد من الأسئلة:

«تيتة، يعني إيه يتيمة؟».

«تيتة، اشمعنا الأولاد بتلعب في الشارع؟».

«تيتة، أنا ليه مش ولد؟».

«تيتة، أنا بحب ولد».

«تيتة، أنا بكرَه الناس كلها».

«تيتة، أنا ماليش غيرك».

«تيتة.. تيتة.. تيتة».

ماتت الجدة قبل امتحانات الثانوية العامة بشهر واحد، وتورطت عارفة بين حلمها في كلية الإعلام وحزنها على رحيل آخر أفراد أسرتها، وآخر المهتمين بأمرها.

وطبعًا انتصر حزنها، والتحقت بكلية آداب إعلام بقلب مكلوم وحلم مُحطم.

ولأن معاش والدها الذي توفى ولم يترك لها غيره لم يعد كافيًا، فكانت عارفة تذهب إلى الجامعة بالنهار وتعمل في مطعم للوجبات السريعة بالمناوبة المسائية. وفي كل ليلة كانت تتذكر تحذيرات جدتها من الليل:

«لا تتأخري، يجب أن تعودي إلى المنزل قبل حلول الظلام».

«إن العتمة لها تأثير عجيب في نفوس البشر، فهذاالرجل الودود الذي ابتسم لكِ في الصباح لن تتمني مقابلته بمفردك في زقاق مُعتم مهما بلغت ملائكيته بالنهار».

«الرجل والليل، المستذئب والقمر المكتمل؛ كلاهما نفس الشيء».

وهكذا اعتادت عارفة عبور الطُرق المُظلمة بمفردها كل ليلة، تتذكر التحذيرات، وترتجف إن رأت أحدهم يعبر الطريق. تركب مواصلات

شبه فارغة في منتصف الليل، وأحيانًا تلمح سيجارة حشيش في يد سائق، وما إن يمرر عيناه على جسدها في كشف واضح لفساد نواياه قبل أن يسألها بنظرات تفترس خوفها:

«على فين العَزم يا أبلة؟».

فتجيبه بحدة: «على أي جمب».

ولحُسن حظها لم يختطفها أحدهم حتى الآن، لن تكسبأي مواجهة مع رجل حتى ولو كان يأكل الحشيش مع قطع الأفيون المقرمشة بصوص الخمر الحار.

«ولتبقي في أمان من شر الرجال؛ عليكِ الاحتماء بأحدهم، هذه الطريقة التي تُدار بها الأمور».

ورغم تخرجها من الكلية منذ شهور، إلا أنها ما زالت تمر بذات المخاطر كل ليلة، لأنها تقضي النهار في البحث عن وظيفة بمجالها، والليل للعمل بنفس المطعم، وادخار الأموال لشراء هاتف بكاميرا لا تُظهر الناس كالبكتريا مثلما يفعل هاتفها الحالي.

حتى حصلت عارفة على وظيفتها بالفعل، صحفية فيجريدة مغمورة، مُرتب بخس، تعمل به طوال اليوم، قبل أن تعود إلى منزلها من خلال الطُرق المُعتمة والمواصلات شبه الفارغة، تستلقي على فراشها، مُنهكة، لا تشعر بنفسها سوى في الصباح بمكالمة من مديرها يُذكّرها بأنها ليست حرة.

ولكن اليوم.. وتحديدًا الساعة 01:00 PM، حصلت عارفة على مكالمة مختلفة، نهضت على صوت هاتفها المزعج، التقطته بكسل وأجابت بصوت ناعس:

- ألو!

فلم يجيبها أحد، ولكن هناك صوت تنفس متقطع، ينم أنالمُتصل

يرتجف لسببٍ ما، كررت عارفة:

- ألووو!

ولكن المكالمة انتهت.

زفرت عارفة بحنق قبل أن يرن هاتفها مرة أخرى، ففتحت الخط وصرخت بغيظ:

- ألووو!

فأجابها صوت مديرها الغليظ:

- إيه صوتك دا؟!

عرفته من غروره. توترت وراحت تشرح له الموقف ولكنه قاطعها بقوله:

- النهاردا يوم سعدك، هبعتلك داتا عن راجل لسه خارج من السجن، هتروحي تصوري معاه تقرير للسوشيال ميديا، عاوزين أسئلة في الجون، لو عملتيه حلو هتتثبتي يا عارفة، مفهوم؟

لمعت عين عارفة فور سماعها كلمة تثبيت. ورغم أنه يوم إجازتها، فقد قضت بقية النهار تفتش عن هاتف يصلح للمهمة. ولكنها عادت قبل الغروب مدركة أن المبلغ الذي ادخرته غير كافٍ، فاشترت عشاءً رخيصًا، وفتحت جهاز الكمبيوتر الذي كان يخص والدها في الماضي، وصار الآن قطعة خردة متصلة بالإنترنت بمعجزةٍ ما، تتصفح من خلاله الفيس بوك، والموقع الخاص بالجريدة.

جريدة أخبار بُكرة، موقع باهت لا يزوره غير العاملين بالجريدة، تجد اسم الجريدة باللون الأسود يتوسط الشاشة. وباللون الأحمر في جانب الشاشة كُتب بخط رفيع: «خبر بُكرة بفلوس.. عندنا ببلاش».

وهذا هو الشعار المبتذل للجريدة، والذي يظنه مديرها عبقريًا وعميقًا.

تفتح عارفة الموقع لتقرأ أعمالها، ثم تتجه مجدداً إلى الفيس بوك، وهناك يظهر لها فجأة إعلان عن أحد مواقع التسوق الإلكتروني. عبارة عن منشور مُرفق به رابط، ويعدك صاحب الإعلان بأشياء ثمينة بأسعار بخسة إن ضغطت على الرابط.

خطر ببال عارفة حاجتها لشراء هاتف، فغدت في اللحظة التالية داخل الموقع، وبالفعل، ثمة أشياء ثمينة معروضة بأسعار تصيبك بالريبة، لدرجة تشكك في وجود خدعة مبتذلة خلف عمليات الشراء في هذا الموقع. وهذا ما دار في ذهن عارفة، حتى رأت إعلانًا عن هاتف بكاميرا قوية، ومواصفات ممتازة، والسعر صفر جنيه!

تذكرت جملة جدتها والتي كانت تكررها دومًا:

«أبو بلاش.. بلاش منه؛ مافيش حاجة في الدنيا ببلاش».

وبالفعل.. في تمام الساعة ٠٦:٣٠ PM ضغطت عارفة زر (شراء).

غمرها شعور بالغرابة لأنها عملية شراء لن تدفع فيهامليمًا، وشعورًا بالقلق أن تكون وقعت حالا فريسة لخدعة ما.

وفي اللحظة التي ضغطت بها شراء، سمعت أحدهم يدق باب شقتها وكانت الساعة لا زالت ٠٦:٣٠ PM. فتحت عارفة الباب فلم تجد أحدًا، ولكنها وجدت هاتفًا جديدًا، بكرتونته

التقطته بقلق ودخلت شقتها، فتحت الكرتونة بحذر، ثم أدركت أنها مُحاطة بما يقرب من ثلاثة أمور غريبة:

١- سعر الهاتف.. صفر جنيه.

٢- سرعة وصول الهاتف.. بضع ثوان.

٣ - الهاتف نفسه.

إمكانيات الهاتف متوسطة، عدا الكاميرا، فهي دقيقة جدًا حسب المكتوب. لونه أسود كالفحم، وزنه ثقيل عن المعتاد، عدسة كاميرته

ضخمة، تشبه الكرة البلورية التي يراقب السحرة المستقبل من خلالها.

الهاتف بدون شاحن، ولا سماعات، وهذا يعني أن في حالة نفاد بطاريته سيغدو كأي قطعة بلاستيك.

ورغم كل هذه الأمور المُريبة، لم ترَ عارفة سوى فرصة تثبيتها في الجريدة، وحصولها على هاتف بكاميرا ممتازة. فلمعت عيناها مرة أخرى، واستعدت لإجراء حوارها الصحفي مع هذا الرجل الذي خرج من السجن لتوه.. ماذا كان اسمه؟!

تذكر أنك حملت رواية سنموت بعد قليل حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك

*****

الفصل الأول

المقابلة.

«جلسة تصوير قتيل»

الساعة ٠٨:٠٥ PM دقائق، مساءً.

الشارع هادئ لدرجة شعرت معها عارفة أن صوت أفكارها صاخبًا.

وقفت أمام بيت الرجل والتقطت نفسًا عميقًا قبل عبورها البوابة الصدئة للبيت، تخطت الحديقة الذابلة والسيارة البيضاء من طراز فيات، والتي يكسوها غبار ثقيل ينم عن عدم اهتمام دام سنوات طويلة. ثم صارت أمام باب البيت.

دقت الباب بيدها الرقيقة ووجهها المَلول. وما إن انفتح الباب حتى كسا الضوء الخارج من الشقة وجهها الذي صار بشوشًا فجأة وظهرت

عليه ابتسامة عريضة وكاذبة، مدت يدها بحماس للتحية وقالت:

- مساء الخير يا أستاذ ربيع، أنا عارفة حسانين من جريدة أخبار بُكرة، ممكن آخد من وقتك نص ساعة؟

تأملها الرجل الخمسيني بشك.

بشرته سمراء وملامحه حادة، يرتدي جلبابًا وشعره أشعث يكسوه الشيب. ولديه ذقن بيضاء نمت فوق جرح عميق استقر في خَدّه الأيمن.

سألها بحذر:

- انتِ اللي كلمتيني في التليفون؟

هزت رأسها بابتسامة، فسمح لها بالدخول ولكن بنظرات حذرة.

دلفت عارفة إلى الشقة، وحاولت أن تبدو وكأنها لم تلحظ رائحة الكحول التي يعبق بها المكان ولا الجرح المخيف الغائر في وجه الرجل. وراحت تتأمل الأثاث الخشبي للبيت، صالة منزل بسيطة، في جانبها الأيمن ممر طويل يقود إلى بقية أجزائها من حمام ومطبخ وغرفتين، ولكن أثاثها كله من الخشب الأبيض، اللون الأبيض يكسو جميع القطع عدا مقعد خشبي واحد، لونه أسود، وهو أكثر قطعة تصميمها بسيط.

جلبه ربيع ووضعه أمام مقعد وثير، أشار لعارفة بالجلوس على المقعد الوثير، والتي بدت منبهرة وهي تتأمل الشقة. ثم جلس ربيع على المقعد الأسود، وابتسم لأول مرة وهو يقول:

- كلها أعمال يدوية، أصلها كانت صنعتي قبل السجن.

سألته كعادتها في طرح الأسئلة:

- حضرتك اللي عملت كل دا؟

فحاول أن يداري خيبة أمله وهو يقول:

- لأ، دا من صُنع أبويا، أنا اللي عملت الكرسي اللي أنا قاعد عليه

دلوقت، كان عمري ١٠ سنين، الباقي ما كانش بيعجبه.. فبيفكه، لو كان عرف إني هبقى نجار شاطر بعد شغل السجن كان حبسني بإيده.

أنهى كلامه وراح يضحك بعنف.

أدركت عارفة أنه الكحول، فحاولت أن تبدو رسمية، أخرجت الأوراق التي بها معلومات عنه وقالت:

- السجن تهذيب وإصلاح، هنحتاج نتكلم عن دا في حوارنا.

لاحظ طريقتها الجافة، فانتهت ابتسامته وسألها بحدة:

- انتِ هتصوريني؟

- آه، لأنه تقرير للسوشيال ميديا يا أستاذ ربيع، هل عندك مشكلة مع التصوير؟

- لأ، عندي مشكلة مع الوقت، يا ريت مش أكتر من ربعساعة لأن دا معاد الدش السخن بتاعي.

هزت رأسها، وابتسمت بافتعال:

- أوعدك مش أكتر من ربع ساعة.

ثم أضافت:

- عمومًا التقرير عن الناس اللي قضت سنين كتير من حياتها في السجن.

فقاطع كلامها بحدة:

- ويا ترى عارفة يا آنسة عارفة أنا اتسجنت في إيه؟

- آه طبعًا عارفة.. آآآ...

كانت تفتش في الأوراق عن الإجابة، ابتسم بسخرية وفجَّر قنبلته:

- لو مذاكرة ما كنتيش جيتِ لوحدك بيت راجل اتحبس ٢٠ سنة بتهمة

اغتصاب أنثى.

كسا القلق ملامحها بعد إجابته، تأمله ربيع بنظرات سادية، وكأنه انتشى ببث الرعب في قلبها، قبل أن ينهي عرضه بقوله:

- ولو مذاكرة كويس ما كنتيش خوفتِ دلوقت، لأني خرجت قبل انتهاء المدة بخمس سنين علشان أخيرًا الحكومة شافت شغلها وقبضت على الجاني الحقيقي.

فهمت عارفة لحظتها فوائد أن تجري حوارًا صحفيًا مع معاقر للكحول، فهذا أكثر شخص في حاجة للكلام مع أحدهم. وسألت نفسها: لماذا لا تقوم الشرطة بتوزيع الخمور في غُرف التحقيقات؟

وسألت ربيع:

- انت اتسجنت ١٥ سنة ظَلم؟

فردد بغرور:

- عرفتِ ليه رئيسك بَعتك تصورِيني؟ أنا مش زي أي مسجون.

- لأن عندك قصة تستحق تتحكي، واضح إن حوارنا هيكون ممتع، بس ليه قبضوا عليك انت بالذات؟

ابتسم ربيع وقال:

- أسئلتك كتير يا عارفة، شكلك اسم على مُسمى.

تذكرت جملة والدها، وأدركت أنها تطرح الأسئلة لمتعتها الخاصة وليس للعمل. بينما جاوبها ربيع:

- بعدما قدمت المجني عليها بلاغ، جت للشرطة مكالمة غامضة، المُتصل ادعى إنه عارف عنوان الجاني، وإداهم عنواني.

- ثانية واحدة، والمجني عليها اتعرفت عليك؟

- خانتها الذاكرة، فضيعتني.

سألته باستنكار:

- خانتها الذاكرة؟

- يوم الحادثة كان مطرة وضَلمة، والجاني الحقيقي وشه شايل نفس شيلتي.

قالها مشيرًا نحو جرح وجهه. واستطرد:

- قبضوا عليا قبل نهاية ٢٠٠٤ بنص ساعة.

- واو! لا إحنا نبدأ تصوير بقى..

أنهت قولها بخروج الهاتف من حقيبتها. تأمله ربيع باستغراب، وتحكمت عارفة في وزنه بصعوبة، وقالت وهي تعبث به:

- هسألك وأنا بشغل الكاميرا..

وكانت الساعة في الهاتف تشير إلى ٠٩:١٥ PM، ثم فاتت لحظة قبل أن توجه كاميرا الهاتف وهي تسأله:

- فقدت إيه بسبب السجن؟

جاوبها بمرارة:

- كل حاجة، عدا رقبتي والبيت دا، هُما اللي باقين لي... فيه حاجة يا آنسة عارفة؟!

كان وجه عارفة غارقًا في التوتر. ويبدو أنها ترى شيئًا في شاشة الهاتف جعل ملامحها ترتجف.

كانت الكاميرا موجهة نحوه، ومع ذلك فهو لا يظهر في شاشة الهاتف، وكأنه شبح، وبدلًا منه تظهر فتاة لم ترَها عارفة من قبل، ترتدي زيًا رسميًا، تجلس على المقعد الأسود مكانه، ولكنها مُقيدة، فوق حاجبها

الأيسر جرح طازج، ما زال ينزف، وفي عينيها أطنانٌ من الخوف.

ارتجفت يد عارفة، وكادت أن تسقط الهاتف وهي تعتذر لربيع الذي يسألها عن سر توترها فجأة.

- أنا آسفة يا أستاذ ربيع الكاميرا ما اشتغلتش.. هحاول تاني.

لاحظ ربيع فمها يرتجف، فخرجت حروفها مُترنحة. هز رأسه بأن كل شيء على ما يرام.

بينما وجهت عارفة الكاميرا نحوه مرة أخرى، وحاولت أن تبدو مهتمة بسؤالها وهي تلقيه:

- ندمان على إيه؟

لم يظهر ربيع في شاشة الهاتف مرة أخرى.

ما زالت الفتاة بزيها الرسمي، وجرحها الطازج، وفجأة ظهر ربيع من خلف الفتاة، بعد انتهائه من ربطها جيدًا في المقعد، كانت نظراته قاسية وليست بالودِ التي يظهر عليه الآن، وفي يده سكين مُلطخ بالدماء، يتأمل الفتاة بشراسة ويلحس بلسانه الدماء من السكين، قبل أن يتجه نحو الممر، قاصدًا إحدى الغرف.

كل هذا تراه عارفة في شاشة الهاتف، بينما في الواقع يجلس ربيع بوداعة على المقعد الخشبي، ويجيب سؤالها بهدوء:

- ندمان على إني مظلوم، لو كنت مُغتصب فعلا مَا كانش نَص عُمري راح أونطة.

سقط الهاتف من يدها هذه المرة، وشهقتها كانت ملحوظة، وكأن لدغها عقرب. وثبت من مكانها بسرعة وبدأت تلملم أوراقها وحاجتها وهي تنهال على رأس ربيع بالاعتذارات:

- أنا آسفة جدًا لحضرتك.. الموبايل فصل.. هتواصل معاك لتحديد

موعد آخر.. بكرر اعتذاري.

كانت غارقة في العرق والخوف.

رحلت بسرعة وتركت ربيع يلوح الضيق على وجهه ويشعر بالإهانة.

وبالخارج.. شعرت عارفة أن الشارع أكثر مكان آمن، ولايوجد ما يثير التوجس أكثر من الأبواب المغلقة. وما إن صارت بين المحلات والمَارَّة حتى وقفت تلتقط أنفاسها، وفي ذهنها فكرة واحدة، ستبلغ الشرطة.. ولكن عن ماذا؟!

لم تكن في حالة تسمح لها الاستعانة بالتفكير، فانتظرت حتى هدأ صدرها ثم أخرجت الهاتف، أجرت مكالمة ووضعته على أذنها.

وبينما تنتظر الرد أدركت أنها تقف أمام محل تليفونات،لافتته حمراء مضيئة كُتب عليها (مريم فون).

في هذه اللحظة جاء الصوت من الطرف الآخر في المكالمة، تعرف هذا من ملامح وجهها التي تحمست فجأة، وعينها التي اتسعت، وقولها:

- ألو! البوليس؟ عاوزة أبلغ عن حادثة اختطاف.

***

الفصل الثاني

لا تعبثي بالوقت

«هاتف سحري.. لقطات واضحة للماضي والمستقبل..

وبسعر صفر جنيه».

الساعة ٠٨:٢٠ PM دقيقة.

المحل اسمه (مريم فون)، ولكن لا توجد مريم بداخله، بل رجل عجوز

يبدو من وجهه المزدحم بالتجاعيد أنه تخطى عقده السابع، بجانبه تلفاز عاجز بدوره عن التقاط إشارة، وكوب شاي بنعناع، وأمامه زبون يبدو عليه الضيق، ويبدو من النقاش الدائر بينه وبين هذا الزبون الشاب أن العجوز لا يفقه شيئًا عن الهواتف.

كان الشاب يمسك بسماعات هاتفية ويخبر العجوز بحنق:

- يعم محمود السماعات بتزن!

فجاوبه العجوز مدعيًا الحكمة:

- تلاقيك ما بليتهاش!

استغرب الشاب رده، بينما تناول العجوز السماعات منه، ووضع المدخل في فمه ببطء ثم أعادها لهاتف الشاب مرة أخرى. اندهش الشاب وقال بضحك:

- دي اشتغلت!

ابتسم العجوز بفخر، قبل أن يشكره الشاب ويغادر المحل، وأثناء مغادرته كانت عارفة تعبر المدخل.

- بلها كويس يالا..

هكذا قدم العجوز نصيحته الأخيرة بصوت عالٍ للشاب الذي غادر لتوه، ثم نظر بودٍ إلى عارفة وسألها باحترام:

- اتفضلي يا بنتي.

فهمت عارفة فور رؤيتها للرجل أنه من الطراز الذي يقولعن الموبيل (محمول)، ولكنها لم تملك سوى قولها:

- كاميرا الموبايل مش بتصور الحاجات.

تأمل الهاتف في يدها وترك تعليقًا عن ندرة مظهره، طلب منها فتحه

ثم تناوله منها وبدا أنه يواجه صعوبة مع وزن الهاتف الضخم.

- إيه المحمول دا؟ تقيل ليه كدا؟

وراح يعبث به وواضح عليه أنه في ورطة، ولكنه ادعى الحكمة مرة أخرى وحك ذقنه قبل أن يقول:

- آاه، عارفة المشكلة في إيه بقى، في الوقت..

بدا عليها عدم الفهم فاستطرد حديثه:

- ساعتك مقدمة ساعة، لو ظبطتِ الوقت هيشتغل ويبقى زي الفل.

كان كلامه مُحبطًا لعارفة التي ابتسمت في مرارة بينما أخرج هاتفه وأجري اتصالًا قائلًا:

- هتصل على بنتي تقولي أظبط الوقت إزاي.

شعرت عارفة أن العجوز يستغلها محاولا الظفر بالمال بهذه الحماقات، فقالت له وهي تحاول أخذ الهاتف منه:

- لا شكرًا، أنا عارفة.

- وبنتي كمان عارفة..

ثم أضاف بغرور:

- دي خريجة حاسبات وعارفة كل حاجة، المحل دا بتاعها هي بس حبيبتي عوقت في شغلها الليلة دي.

شعرت عارفة بالحنق، بينما يكلم العجوز ابنته بصوت عال وكأنه في السنترال يكلم قريبه في الخليج:

- ألوو! أيوا يا حبيبة بابا.. اتأخرتِ أوي.. أكلتِ؟ اوعي تنسي الأنسولين.. طيب يا نور عيني.. بقولك...

ثم استطرد:

- معايا زبونة عايز أظبطلها وقت تليفونها أعمل إيه؟

ابتسمت عارفة لطيبة الرجل وسذاجته، راح يتبع تعليمات ابنته بحرص:

- آاه.. أيووا.. تمام.. الله ينور عليكِ يا مريم.. ما تتأخريش علشان بقلق.. في حفظ الله يا بابا.

أغلق الخط ثم أعاد الهاتف لعارفة:

- ظبطته..

ابتسمت له واستعادت الهاتف، وبينما تفتش في حقيبتها عن «فكّة»، قال العجوز بكياسة وهو يناولها كارت المحل:

- خَلّي وقتك مظبوط، كل حاجة تمشي معاكِ مظبوط.

وكأنه إعلان محل ساعاتي.

أخذت الكارت وتركت له المال بابتسامة، ورددت قبل أن تغادر المحل:

- انت راجل طيب، بس الوقت مالهوش علاقة بالكاميرا. شكرًا في جميع الأحوال.

تأمل العجوز رحيلها ووضع الفكّة في الدرج، ثم نظر إلى التلفاز المُعطل. هوى على مقدمة التلفاز بقبضة يده فترددت الإشارة، سدد له لكمة أخرى فعادت الإشارة كاملة.

كانت مباراة كرة قدم، وكان الأهلي يحرز هدفًا في الدقائق الأخيرة. لا تحاول معرفة النتيجة؛ لأن العجوز ترك صورة لابنته مُعلقة في جانب الشاشة فحجبت شريط عرض النتيجة.

وإن دققت النظر في الصورة، ستدرك أنها صورة للفتاة التي رأتها عارفة بشاشة الهاتف، عندما كانت مُقيدة على المقعد الخشبي، بجرح طازج فوق حاجبها، رفقة ربيع ونظراته المفترسة.

***

في تلك اللحظة راودها الشك بشأن صحتها العقلية، هل خوضها كل ما حدث عقب وفاة أسرتها رمى في ذهنها بذور خلل ما؟

هل نما هذا الخلل خلال وحدتها التامة ومعاناتها بعد وفاة جدتها؟

في النهاية اتَّسمت حياتها بالصعوبة منذ أسعد أيام حياتها، فلن يُدهشها كون الجنون قريب من عقلها لهذا الحد.

كانت هذه أشد لحظاتها شروذا، لحظة تأملت فيها حياتها بالكامل، قبل أن تعبث بالهاتف مجدذا، وتجرب الكاميرا مرة أخرى، وللمفاجأة، بدت الصورة في الكاميرا طبيعية، كل شيء على حاله، لا ضلالات، كادت أن تفعل مثلما فعل الزبون الشاب في المحل: «دي اشتغلت!».

وهنا طرحت سؤالا جديذا، ماذا فعل العجوز لتعود الصورة طبيعية؟

فتشت عن الإجابة في ساعة الهاتف لتغيرها مرة أخرى وتجعلها ١٢:٠٠ PM ثم عادت لتشغيل الكاميرا، وبالفعل.. حصلت عارفة على إجابتها.

وجهت عارفة الكاميرا نحو محل (مريم فون). والصورة التي يعرضها الهاتف كانت للمحل بالفعل، ولكن بالنهار، وضوء الشمس يغمر المكان.

أنوار اللافتة مغلقة، والعجوز يجلس على مقعد أمام المحل.

لم تصدق عارفة ما تراه، هل هذه كاميرا تلتقط الصورة حسب الوقت المُضبط في الهاتف؟

هل لو غيرت الوقت وجعلته في الفجر، ستعرض لها الكاميرا ما سيحدث في نفس المكان وقت الفجر؟

هل هذه تساؤلات منطقية أصلًا أم أنها فقدت عقلها بالفعل؟

فطنت عارفة لطريقة عمل الكاميرا، وراحت تعبث في وقت الهاتف، وتجرب أوقاتًا مختلفة، وفي كل مرة تعرض لها الكاميرا صورة للمكان

تختلف عن الأخرى، حسب الوقت المُضبط وقت تشغيل الكاميرا.

أمر مُذهل!

هذا ما استنتجته في اللحظة الأولى بعد اكتشافها العظيم، وفي اللحظة التي تليها اتسعت عيناها، وأدركت أن العجوز أخبرها بأن ساعتها كانت مقدمة ساعتان، وهذا معناه أن ما رأته في شاشة الهاتف أثناء تصوير مقابلتها مع ربيع، سيحدث.. ولكن بعد ساعتين.

أمر مُرعب!

***

الساعة ٠٨:٣٣ PM..

بلغت عارفة بيت ربيع، وقمة فضولها، كانت تنوي أن تستغل كاميرا الهاتف لمعرفة من هذه الفتاة، ولماذا اعتدى عليها ربيع بهذا الشكل، وما إن عبرت البوابة الصدئة للبيت، وصارت في الحديقة العجوز، حتى طرأ بذهنها قرار مباغت.

فأخرجت الهاتف، ودخلت لأول مرة للتقويم الخاص به،وهنا ستلاحظ شبح ابتسامة على وجهها متوسط الجمال، وراحت الابتسامة تتسع وهي تفتش في التقويم لتجد تواريخ تصل للقرن الثامن عشر وما قبل ذلك، من سيحتاج بهاتفه تواريخ كهذه إلا لو كان شخص يحتاج إلى هاتف سحري، يمكن من خلاله التنقل لأي زمن ومراقبة ما يدور في أي حقبة. هذا هاتف يمكن كتابة التاريخ به، كما وقع بالفعل، أداة مناسبة لصحفي فضولي كعارفة.

وهكذا راحت عارفة تختار تواريخ عشوائية، وتراقبما حدث بها، فاتجهت للأربعينات، لم يظهر البيت في الشاشة، ورأت على بُعد كيلومتر دار عرض سينمائي تبدو فخمة، ومكتوب عليها (سينما ربع لبة)، وتحمل بوسترات لأفلام قديمة كالحفريات، ومن بينهم فيلم يبدو عظيمًا، لأنها تعرف معظم الوجوه الموجودة في البوستر، واسمه (سي

عمر)، تذكرت الأن أنها شاهدته رفقة جدتها في إحدى سهرات الأيام الخوالي.

بدت الناس التي تعبر السينما وتخرج منها كالبهوات والهوانم، هذا الوصف الدقيق والحقيقي، بذلات أنيقة، وشوارب مهذبة، وذقون حليقة، وطرابيش حمراء، وفساتين ساحرة، وأناقة عامة تبعثها الأجواء.

لمعت عيناها وهي تلقي نظرة بالألوان، وعن كثب، على الماضي السحيق، أمر مُدهش سلب عقلها.

الخطوة التالية كانت في السبعينات، وهذه المرة ظهر البيت، كما هو الآن ولكن أكثر نظافة، الحديقة في عز شبابها، مُزدحمة بالأزهار والألوان، وثمة فراشات تجلب رزقها فوق الزهور الزاهية، كل شيء يضج بالحياة عكس الآن، وحتى السيارة الفيات بدت أكثر أناقة ونظافة، بدت سيارة إن صح التعبير.

فطنت عارفة فور رؤيتها لهذا الطفل الذي يلهو بالحديقة أنه ربيع، قبل أن تجف أوراقه، كان سعيدًا كعادة الأطفال، وعينه مفعمة بالحماس، ولكن عجت نظراته بالخوف فجأة، وهرع نحو قطع خشبية مُلقاة في رُكن بإهمال، بجانب مقعد خشبي لم يكتمل بعد، ولكنه على وشك الانتهاء، مقعد سيقيد به فتاة ويعتدي عليها بعد خمسة عشر عامًا، تحديدًا بعد ساعة ونصف من الان.

تناول ربيع -الطفل- المطرقة من الأرض وتظاهر بالعمل، في هذه اللحظة كان والده يخرج من البيت، لديه شارب ضخم وجسد ممتلئ بالدهون ونظرات قاسية، سددها إلى ربيع أثناء عبوره الحديقة، لم يحدثه، اكتفى بتلك النظرات حتى قاد الفيات خارج المنزل، وما إن خرج حتى عاد ربيع إلى اللهو، وعاد الحماس لعينيه.

أنهت عارفة المشهد، وفكرت في إلقاء نظرة على اللحظات الأخيرة من عام ٢٠٠٤، اللحظات الأخيرة لربيع خارج أسوار السجن.. ليلة القبض

عليه. لن تجد الجريدة تقريرًا أفضل من هذا.

اختارت التاريخ يوم ٣١/١٢/٢٠٠٤..

واختارت الوقت الساعة ١١:٠٠ ..PM

واستخدمت الكاميرا.

ظهرت في الشاشة السيارة الفيات، حالتها ساءت عن الفيديو السابق، مركونة في نفس وضعها التي عليه الآن، وبداخلها شاب وفتاة، وواضح من عروقهم المتنافرة أنهم في خضم نقاش حاد، فاقتربت عارفة من السيارة لتسترق السمع، فوجدت أن ثمة هدوء يتسم بالحزن خَيِّم عليهما، استراحة محارب بعد جدال قاسي، وكانت الفتاة هي الأكثر حزنًا، أمَّا الشاب فبدا من وجهه أنه ربيع، وجه بجرح غائر، وعلامات سُكر متقدمة.

قالت له الفتاة:

- طَلقني يا ربيع.

لم ينظر إليها، ولم تكمل عارفة المشهد، أرادت حضورالمعركة من بدايتها، رغبة أنثوية عارمة في معرفة أدق تفاصيل العلاقات.

فعادت بوقت الهاتف بضع دقائق، تحديدًا للحظة التي أطفأ فيها ربيع مُحرك السيارة، والفتاة والتي تبدو زوجته تنظر له بعتاب وتقول بحزن.

- انت هتبطَل اللي بتشربه دا امتى؟ انت كنت هتتقلب بينا مرتين!

فرد ربيع بنبرة تنهي النقاش قبل بدايته:

- وما اتقلبناش.

فازادت جرعة اللوم أملًا في يقظته:

- إحنا حالنا كدا عمره ما هيتبدل.

- وماله حالنا يا بنت الناس! ما إحنا زي الفل آهو!

- ماله؟!

سألته مستنكرة، ثم تنافرت عروقها وهتفت:

- حالنا من سيئ لأسوأ من يوم موت عمو، خسرت ورشته وفلوسه، خمرة ليل نهار، لا بقيت معايا ولا مع نفسك، انت فين؟

- عندنا بيت وعربية، احمدي ربنا في ناس مش لاقياها.

- دول كمان هيحصلوا اللي راحوا، كل حاجة هتروح من إيدك عدا الكاس والإزازة.

ردد بابتسامة وكلمات تفوح بالكحول:

- من يوم ما غار وأنا في أحسن حال.

ويقصد بها السيد الوالد.

تأملته بشفقة وقالت له بمرارة:

- حتى أنا هروح من إيدك.

ثم انتزعت نظراتها من عليه وألقتها للأمام، وقالت له بنبرة تحاول أن تبدو متماسكة:

- طَلقني يا ربيع.

لم ينظر إليها، رمى نظراته صوب السماء، حيث احتشدت الغيوم فوق البيت، وتشعر معها أن العتمة ازدادت ظلامًا، وفي اللحظة التالية بدأت الأمطار تتناثر برقة فوق زجاج السيارة، تدلت الزوجة من السيارة، واتجهت نحو البيت، ومع هذا الحدث رأت عارفة بطن الزوجة منتفخة، وفطنت أن السجن سيبتلع ربيع الذي ينتظر مولوده الأول، وبالتأكيد

هذا الطفل هو القشة التي تعد ربيع بتصليح الأمور بينه وبين زوجته.

حينها، رمقته عارفة بشفقة، وهمست له أنها مدركة كيف كانت الأمور صعبة، بل في غاية الصعوبة، عليه إصلاح حياة مُحطمة، وعلاقة على حافة النهاية، وبذل كل الجهد لتأمين استقبال مشرف للمولود الأول، ولكن السجن لن يرى سوى الجرح في وجهه، ولن يسمع سوى ادعاء المجني عليها، وسيبتلعه بين جدرانه، ويبصقه بعدها بعقد ونصف من الزمن، عجوزًا، وحيدًا، خسر كل شيء حتى سمعته، وبقت الكأس والزجاجة كما تنبأت له زوجته.

ولكنه لن يسمع همساتها، ولا يعرف أنها ترى الدموع التي تلمع في مقلتيه الآن، اعتاد من صغره أن تغمره رغبة عارمة في البكاء عند هطول الأمطار.

ولا يعرف أن الشرطة في طريقها الآن للقبض عليه.

***

هبط من السيارة، ثم اتجه لباب البيت، تبعته عارفة وفي يدها الهاتف، تراقب كل ما يحدث.

وقف ربيع عند باب البيت وفتش في جيوبه عن المفتاح،لم يجده فظهر عليه الضيق لوهلة، قبل أن ينحني ليجلب نسخة احتياطية اعتاد تركها أسفل الدوّاسة لأنه كثير النسيان كأي (خمورجي) لديه ضمير.

فتح الباب ثم أعاد المفتاح تحت الدواسة، ودلف إلىالشقة، تبعته عارفة، ولكنها اصطدمت بالباب المغلق في الواقع، كانت قد اندمجت لدرجة نسيانها أن كل هذا داخل شاشة الهاتف فقط.

فكرت أن تدق الباب، ثم تخبره أنها ستكمل تصوير، أي شيء يمكنها من الدخول ومعرفة ما حدث، وما سيحدث.

ولكن من حُسن حظها أن تصميم البيت يمكنها من سماع صوت مياه

الاستحمام، التي يقف تحتها ربيع كما أخبرها في المقابلة، لأن نافذة الحمام الصغيرة وبقية نوافذ البيت تطل على الحديقة.

إذن، ربيع أسفل الدش السخن، هل المفتاح أسفل الدواسة أم سنوات السجن انتزعت منه عادته؟

وجدت عارفة المفتاح.

ما دامت الشقة رائحتها كالحانات، فسيبقى المفتاح في مكانه.

وفي اللحظة التالية صارت عارفة داخل الشقة، رفقة الهاتف، وبينما يقف ربيع تحت المياه لتنمو أزهاره، عارفة ستلقي نظرة على أشد لحظات حياته خصوصية، وحساسية.

تذكر أنك حملت رواية سنموت بعد قليل حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك

***

الفصل الثالث

طفل خمسيني

»وداعًا ثيو.. سأتجه نحو ربيع«

وما إن صبحت عارفة داخل الشقة، فتحت كاميرا الهاتف مجددًا، ولم تنسَ ضبط الوقت لحظة دخول ربيع، ثم وجهت الكاميرا نحو باب الشقة، صارت بالداخل هذه المرة، فرأت من خلال الشاشة ربيع يدخل الشقة مترنحًا، يلقي بالمفتاح أسفل الدوَّاسة، ويغلق باب الشقة بقوة، متعمدًا.

في الشاشة، أنوار الشقة مطفأة عدا مصباح كهربائي في الممر الذي

يقود إلى باقي أجزاء الشقة، يتسلل منه ضوء واهن يغطي جزءًا من صالة المعيشة، ونصف وجه ربيع الجالس على مقعده الخشبي، حيث تجمهرت الدموع في عينيه، حتى أتت زوجته من الممر فحجبت الضوء، وانسكب ظلها فوق وجه ربيع فلم يعد بكاؤه واضحًا.

قال من عتمته:

- آخر العنقود سُكر معقود، أمي كانت بتقولها وقصدها إن الصغير متدلع، ومع إني الصغير بس عمري ما جيت في بالها وهي بتقولها، البت هي اللي خدت كل الدلع والحب مع إنها الكبيرة، تعمل العملة من دول ويتطبطب عليها.

ثم هتف بغضب شديد مشيرًا نحو جرحه:

- وأنا أبويا يشوه وشي علشان اتجرأت وإيدي اتمدت على البت.

حاولت الزوجة اخعفاء شفقتها، ورغم ذلك بدت واضحة في نظراتها، نهض ربيع عن المقعد قائلًا:

- المشكلة، هي ما حستش إنها أخدت مني كل حاجة، حتى لما سافرت، أخدت أمي، وأمي اختارتها ونسيت إني آخر العنقود.

ثم اقترب منها ببطء واستطرد بنبرة واهنة:

- كانت بتعيط في حضنه، وأنا بعيط في الحمام، وأفتح المايّة علشان ما يعرفش إن الرجالة بتعيط.

وعندما غدا أمامها، وضع يديه على كتفها مرددًا:

- انتِ اللي عرفت أعيط في حضنها، مش هلاقي حتة أبكي عليكِ فيها لو سيبتيني.

وقبل أن تنهمر دموعه، تراجعت زوجته خطوة، واضعة يدها على أنفها في إشارة لرائحة الكحول، فانزلقت يديه من فوق كتفها، نظر

إليها بعتاب فقالت معتذرة:

- أنا آسفة، طلقني.

احتدت نظرته وتبدلت، وقال بخشونة:

- إزاي أكشفلك ضعفي وتعملي فيا كدا؟!

- ربيع، أنا ست ضعيفة، آخر حاجة عايزاها من الدنيا هي راجل ضعيف.

قالتها بحُسن نية، ولم تعمل حساب النتيجة، عجت عيون ربيع بالشرار، وراح يسدده ناحيتها مردفًا:

- انتِ عايزة راجل زي أبويا، الخشونة واكلة إيده وقلبه، هيصرف عليكِ وعلى ابنك، وفي النهاية هتفرحي بموته، وهيفشل حتى يطلع ابنك طبيعي.

فردت عليه بتحدي:

- أنا وابني محتاجين أب مسؤول، مش طفل سكران، بيحاول يسيطر على الست اللي معاه وفاكر إنه كدا بيسيطر على حياته.

في اللحظة التالية أشار لها أن تصمت، ابتسم لها بمرارة، ثم أدار ظهره ومشى حتى المقعد الخشبي، تأمله بتمعن قبل أن يردف بهدوء:

- الكرسي دا بسببه أبويا طبطب عليَا مرة، كان فرحان بيَا،ومن ساعتها وأنا بحاول أكسب فرحته تاني، ولحد ما مات ما نجحتش ولا مرة، ودي غلطتي، ما كانش لازم أدور على فرحته هو بيَا، ما كانش لازم أعمل الكرسي دا.

ثم مسك الكرسي ورماه بعنف نحو باب الشقة، المكان الذي تقف به عارفة تراقب ما يجري بهاتفها، فباغتها المقعد المتجه نحو زاوية تصويرها فأجفلت واندفعت للخلف مصطدمة بالباب.

بينما أجفلت الزوجة بدورها، وهنا بدأ ربيع يخلع حزام بنطاله، ويقول بهدوء:

- انتِ طالق، بس لسة بمزاجي، ولمزاجي.

أنهى حديثه والتفت بعنف ناحية زوجته، الواقفة ترتجف، ثم هجم عليها بشراسة، قيد يديها بإحكام مستخدمًا الحزام، لم يعبأ لطفلها الذي يركل بطنها بعنف متسائلًا عن الجلبة التي تحدث بالخارج وأقلقت منامه الذي لم يعد مريحًا داخل هذه البطن التي تستقبل الركلات.

ولم يعبأ لصرخاتها المتصاعدة، والتي اختلطت بصوت سبابه، وصوت الأمطار التي ازداد انهطالها عنفًا، كما ازداد ربيع جنونًا بينما يسحب زوجته المقيدة بالحزام على الأرض، ويجرّها بعنف في الممر متجهًا إلى غرفة النوم.

كل هذا شاهدته عارفة بثًا مباشرًا، وقلبها يخفق بجنون خلف صدرها، شعرت بأن الهواء ثقيلًا، وراحت تمشي خلفهم في الممر لولا أن صوت المياه في الحمام توقف، وهذا يعني أن ربيع في طريقه للخروج.

أغلقت الهاتف بسرعة، وبمنتهى الخفة وفي خلال لحظات، صارت خارج الشقة وعاد المفتاح إلى مكانه أسفل الدوَّاسة.

***

خرج ربيع من الحمام، وشعره مُبتل، وعيناه أيضًا، ولكن مع انتفاخ إثر البكاء، تحاشى النظر في المرآة أثناء استحمامه، لكي لا يصطدم برجل خمسيني تعيس ووحيد، بوجهٍ مشوه كروحه، ويبكي كالأطفال، على حياته التي انتهت منذ خمسة عشر عامًا، وزوجته التى تركته ومعها ندبة الإجهاض.

اعتاد أن تقع دموعه مع هطول المياه عليه، واعتاد أن يبكي عمومًا، كما كان يحلو له فعلها في الحمام أو الحبس الانفرادي، واعتاد الخسارة، والكحول، لذا فتح زجاجة فودكا، وسكب ما تبقى منها في

كأس زجاجية، وراح يستنشق رائحة المشروب قبل بلعه، ولكن لحظتها أدرك ربيع أمر هام، ثمة رائحة أخرى فطن لوجودها الآن، رائحة عطر أنثوي، اقتحمت أنفه كما فعلتها أثناء تصويره التقرير، رائحة طازجة وكأنها كانت تلهو هنا منذ لحظات.

غمر الشك نظراته، قبل أن يوجهها نحو الباب، تحديدًا أسفل الباب، حيث وجد ثنية كبيرة في طرف السجادة، كما لو أن أحدهم اصطدم بالباب بظهره لأنه أجفل أثناء تصويره للمكان بهاتف سحري.

بالطبع لم يستنتج ربيع كل هذا، فهو ليس شايرلوك، ولكن انتهى الأمر في ذهنه بأن إحداهن كانت هنا أثناء بكائه كالرُضع في الحمام، وتضع عطرًا مميزًا، واسمها عارفة.

***

لم تغادر عارفة المنزل بعد، ولا توجد مفاجآة في هذا،وقفت بين الزهور الذابلة تلتقط أنفاسها، وتفكر كيف كانت رفقة مُغتصب يدعي أنه ليس كذلك بين أربع جُدران أبوابها مُغلقة، في النهاية هذا الرجل ليس مظلومًا. بل نال ما يستحقه، وعاقبته الشُرطة على جريمته ضد زوجته -أو طليقته- المسكينة، حتى ولو بدون قصد، فهذه هي الحبكة السماوية.

طرحت عارفة سؤالها: من هذه الفتاة التي سيعتدي عليها ربيع، ولماذا؟

وكالعادة، فتشت عن إجابتها في الهاتف، فضبطت الوقت تقريبًا كما كان وقت تصويرها التقرير مع ربيع.

09:05pm تقريبًا

أي أنها ستراقب الآن ما سيحدث في اللحظات التي اعتدى فيها ربيع على الفتاة، ولكن من خارج المنزل!

لا يمكنها الدخول مجددًا، خاصة بعد ما شاهدته منذ قليل، فراحت

تبحث بيأس عن أي نافذة مفتوحة، ولم تجد سوى نافذة غرفة النوم، كان الزجاج مغلقًا ولكن ما بداخل الغرفة واضح، فراش كبير ودولاب ومرآة وكوميدينو، ومنضدة صغيرة عليها فازة، وأخرى عليها هاتف أرضي قديم، لأن الرجل لا يملك هاتفًا خلويًا، عرفت هذا لأن الرقم الذي أرسله لها المدير كان رقمًا أرضيًا.. رقم هذا الهاتف.

فتحت عارفة الكاميرا، ووجهتها نحو الغرفة، ورأت الغرفة كما هي، ولكن باختلاف بسيط، رأت فتاة تبدو مألوفة، تختلف عن التي رأتها مُقيدة من قبل، لديها جرح في قدمها، تتأوه من الألم، وشعرها يغطي وجهها، دققت عارفة النظر أكثر، في تلك اللحظة رفعت الفتاة رأسها وانزاح شعرها عن وجهها فرأت عارفة نفسها، مُقيدة، تنزف، تتألم، تنظر نحو الكاميرا وكأنها على علم بأنها قيد التصوير، وفي اللحظة التالية صرخت في وجه الكاميرا بكلمة واحدة، هتفت بها وكأنها مسألة حياة أو موت:

- اهربـــــــي!

* * *

الفصل الرابع

سنموت بعد قليل

«جرائم متنوعة بأجود نكهات اللبن المسكوب»

الساعة ٠٨:٥٥ ..PM

- اهربـــــــي!

تراجعت عارفة إلى الوراء لا إراديًا، فاصطدمت بالسيارة الفيات المركونة أمام نافذة غرفة النوم، كما فعلت بالداخل عندما اصطدمت بباب الشقة، ولكن هذه المرة جرعة الفزع زائدة عن الحد، انتشلت من حلقها شهقة صاخبة، ومعها كل الحق في ذلك؛ تخيل أن ترى نفسك من

خلال كاميرا الهاتف، مُقيد وتنزف، وتصرخ في وجه الكاميرا محذرًا بالهروب، أمر يقشعر له بدن عارفة النحيف. والتي سمعت بعد صوت شهقتها، صوت باب البيت، ثم خطوات ربيع قادمة إلى للحديقة.

اختبأت بسرعة خلف جثة السيارة، غير مراعية لخرمة الخردوات، بينما اقترب ربيع من الجهة الأخرى للسيارة، ووقف راكنًا جسده عليها، وأخرج لفافة تبغ وألقاها في فمه، أشعلها ثم راح يلوك دخانها بنشوة، مستمتعًا بجرعة نيكوتين تحتاجها رأسه بشدة عقب كأس حمل ٧٠٪ من الكحول.

هنا لاحت على وجهه ابتسامة، وكأنه رغم رائحة التبغ، نجح في الظفر برائحتها مرة أخرى، رائحة عارفة، التي تختبئ خلفه الآن، متكومة بجسدها خلف السيارة، وتسير بها رجفة قاسية.

وضعت كلتا يديها على فمها ولتمنع هذه الصرخة التي تُصر على الخروج، فالشارع هادئ تمامًا، ولن تجذب صرختها سوى انتباه ربيع، وهي تعرف أنه بعد لحظات من الآن سيحتجزها بغرفة نومه، ويلقيها على الأرض مُقيدة، هل سيفعل بها كما فعل بزوجته؟

هذا الوقت ليس مناسبًا لطرح أسئلة كهذه، وليس مناسبًا لعبور هذه الفتاة من أمام البيت.

رأت عارفة فتاة تعبر الشارع، وفاتت من أمام بوابة البيت الصدئة، والمفتوحة على مصراعيها، فألقت الفتاة نظرة عابرة داخل البيت أثناء مرورها، فرأت سيارة فيات مغمورة بالأتربة، يقف أمامها رجل عجوز ينفث دخان سيجارته، وخلفها فتاة يبدو أنها تختبئ منه، وترتجف بقوة، فترددت خطوات الفتاة، وتعلقت نظراتها بعارفة، التي تشير بإصبعها نحو فمها وتتوسل لها بأن لا تلفت انتباه ربيع لوجودها.

عبرت الفتاة بسلام، وظلت عين عارفة ثابتة على البقعة التي حملت الفتاة، وأدركت أمرًا هامًا ملأ ملامحها بالدهشة، هذه الفتاة التي عبرت، هي نفسها التي رأتها في شاشة الهاتف مُقيدة في المقعد

الخشبي، وهذا يعني أنها ستعود، وستغدو رفقتها بعد قليل، بداخل المنزل تحت رحمة ربيع.

كانت الفتاة هي مريم، أثناء عودتها من العمل، في طريقها إلى والدها الذي يشعر بالقلق.

انتهى ربيع من سيجارته، وألقاها بإهمال في الحديقة،قبل أن يعود إلى البيت بخطوات واسعة.

وما إن غاب، حتى سمحت عارفة لأنفاسها بالخروج، ثم قضت ثوان كثيرة تلتقطها حتى سكن جسدها.

ولمَّا هدأت أخرجت هاتفها، وقرارها الأول كان الاتصال بالشُرطة. أجرت الاتصال، وانتظرت انتهاء الجرس وسماع الصوت من الجهة الأخرى، والذي قالت فور سماعه:

- أنا بلغت عن حادث خطف من نص ساعة، وما حدش جه!

فغاب صوت الشُرطي لحظة، وكأنه يراجع معلوماته ثم قال معاتبًا:

- حضرتك لسه قافلة معانا من ثانيتين بالظبط، وتم إرسال الدعم للعنوان اللي تم ذكره بالفعل.

شككت عارفة في كلام الشُرطي مردفة باستنكار:

- ثانيتين! بقول لحضرتك كلمتكم من نص ساعة، أنا متأكدة!

فأجاب الشُرطي وصوته مدّعمًا بالحدة هذه المرة:

- وأنا بقولك انتِ لسة قافلة معانا حالًا، الدعم في الطريقيا فندم، يا ريت ما تتصليش كل ثانية إلا لو حصلت حاجة علشان نقدر نقدم المساعدة لناس تانية غيرك، حافظي على هدوءك حتى وصول الدعم، مع السلامة.

ثم أغلق الخط بعنف. لا أعرف كيف للمرء أن يغلق الخطبعنف، ولكن

هذا ما شعرت به عارفة، كما شعرت بالدهشة، والتي أثمرت سؤالًا جديدًا في ذهنها، وهامًا جدًا: فراحت تفتش عن اجابته كالعادة في الهاتف، الذي يقدم لها الأجوبة كما فعلت جدتها في طفولتها.

ولم يفشل في إشباع فضولها حتى الآن، ولكن كلما أشبعه، أزادها جوعًا لمعرفة أشياءٍ أخرى.

كان لدى عارفة سؤالًا قديمًا، طرحته على جدتها في الأيام الخوالي: هل لو كتبت نمرتها في الهاتف الخلوي، ثم ضغطت اتصال، ستتمكن من إجراء محادثة مع نفسها؟

سؤال طفولي، قرأت في نضجها قصة على الفيس بوك، لكاتب رعب نفسي يُدعى (محمد حشمت) على ما تعتقد. دارت القصة عن طفل عثر على كود هاتفي، تمكن من خلاله إجراء اتصال مع نسخته في المستقبل، ولمدة عشرين ثانية.

أثارت القصة سؤالها الطفولي، والذي طُرح في ذهنها الآن، ولكن في ثوب جديد.

ضبطت عارفة الهاتف على وقت عشوائي، وكان 01:00pm.

ثم كتبت رقمها وضغطت اتصال.

والمفاجأة الأولى أنها سمعت صوت جرس!

والمفاجأة التالية جعلت قلبها يقفز خلف صدرها بجنون بينما تسمع صوتها يجيب على المكالمة من الجهة الأخرى، ويقول ممتلئًا بالنعاس:

- ألو!

تقطعت أنفاسها، ولم تفكر في رد، بل فكرت في مدى الجنون الذي بلغته الأجواء.

فجاء صوتها مرة أخرى، يهتف بكسل:

- ألووو!

تذكرت عارفة هذه المكالمة والتي استقبلتها قبل مكالمة المدير، ففمرها التوتر قبل أن تغلق الخط، وتتأمل هذا الشيء في يدها..

ما هذا؟!

وكيف تجرأ شخص ما وتخلى عن هذه القدرات بدون مقابل، ومن هو هذا الشخص، أو هذا الصانع، من الممكن أن يكون الصانع من أرسل هذا الهاتف، لأن بطاريته أتت ممتلئة، وهذا يعني أن عارفة أول مُستخدم.

ومن الممكن أن يكون المُرسِل مُستخدم مثله مثل عارفة، ولكنه أرسل الهاتف بدون شاحن ليضمن أن من سيقع بيده لن يبحث به عن إجابات أسئلة كثيرة؟!

أسئلة كثيرة بالفعل، اكتظت بها رأس عارفة، والتي قررت أن تختار سؤالا واحدًا لتبحث عن إجابته: ماذا سيفعل بها ربيع؟

بعد أن تنتهي من أمر ربيع، يمكنها أن تضبط تاريخ الهاتف ووقته، وتعرف من الذي ترك الهاتف أمام شقتها، وكيف فعلها فور ضغطها على شراء.

أمَّا الآن، دنت من نافذة غرفة النوم مرة أخرى، ووجهت كاميرا الهاتف داخل الغرفة، بعد ضبط الوقت كما كان قبل المكالمة.

ورأت نفسها، ما زالت هناك، وما زالت الحبال تحيط بمعصمها النحيف. وهذه المرة ربيع برفقتها، وفي عينيه شرار ينم عن نوايا عنيفة، ويؤكد هذا السكين الذي يحمله، والمُلطخ بالدماء.

بدت عارفة داخل الشاشة مُستسلمة، ولكن واثقة. وفي اللحظة التالية اقترب منها ربيع، وشد شعرها بقسوة، ووضع السكين أسفل عينيها وبدا وكأنه سيمزق وجهها.

هنا اهتز جسد عارفة من الخوف، ترنحت وكادت أن تسقط أثناء تصويرها للمشهد، اقتربت من النافذة أكثر ومن الهاتف، حتى التصق جسدها بهما، ترغب الدخول في الشاشة بأي طريقة وانتشالها من أسفل سكين هذا المُغتصب القاتل.

ولكن عارفة المُقيدة، والتي تحت وطأة ربيع، لم يبدو عليها الخوف، ورغم أن نصل السكين يكاد أن يعبر داخل وجهها، إلا أن ثمة ابتسامة تكونت على شفتيها، ونظرت نحو النافذة، نحو عارفة الممسكة بالهاتف، قبل أن تثبت نظراتها على شيء في رُكن الغرفة.

قامت عارفة الممسكة بالهاتف بتتبع نظرات عارفة التيفي شاشة الهاتف، فرأت أنها تنظر الى الهاتف الأرضي.

والتصقت به عين عارفة، تذكرت أنها تحتفظ بالرقم، لأنها أجرت معه اتصالا قبل المقابلة، وبعد ثانية واحدة كانت تجري اتصالا آخر.

سمعت جرس الهاتف، رغم أنه أمامها لا يرن، ثم سمعت صوت ربيع يخبرها أن: ألو!

صوته كان حادًا، يليق بشخص يحمل سكينًا ويوشك على ذبح إحداهن. لم يكن هناك من يقف جانب الهاتف، ورغم هذا يجيبها ربيع، أي أنها تجري الآن اتصالًا سيقع بالمستقبل.

حاولت التماسك وقالت:

- مساء الخير يا أستاذ ربيع، أنا عارفة حسانين من جريدة أخبار بُكرة، ممكن أعمل معاك حوار صحفي؟

صمت ربيع لوهلة، ثم هتف بغضب:

- كدابة..

ومن حقه ألا يصدقها، ففي اللحظة الذي يستقبل بها المكالمة، عارفة ترقد خلفه مُقيدة بالحبال وتنزف كالفريسة.

فأضاف بصوت شرس:

- انتِ مين؟

فقررت تكملة التلاعب به، ورددت بثقة

- قُلت لحضرتك، أنا عارفة حسانين، من جريدة أخبار بُكر..

لم تستطع تكملة حديثها، فقد شددت لها ضربة قوية على مؤخرة رأسها فسقطت فاقدة وعيها، وظهر من خلفها ربيع، يتأملها بشك وغضب، وعيناه تحمل نوايا.. نوايا نعرفها جيدًا.

***

- آاااه...

لا تسِئ الظن، أعرف أنه صوت أنثى، ولكنها عارفة التي قيدها ربيع وألقاها على الأرض كما ظهرت في الشاشة منذ قليل، ومرر سكينًا على قصبة قدميها، فسالت دمائها ببطء ومعها تصاعدت تأوهاتها.

كان ربيع هادئًا، حزينًا، كما كان ليلة القبض عليه، تأمل الجرح الذي صنعه بقدم عارفة وقال:

- دا مكان أول جرح أتجرحه في السجن.

ثم نهض وجلس على الفراش أمام عارفة:

- وأنا دمي بيسيح، سألت نفسي لو كنت مجرم بجد، واغتصبت البت الوسخة اللي حبستني، وأستحق الجرح دا كان حالي هيبقى أحسن؟

حاولت عارفة التماسك، لم تخَف عندما عبر السائق بعينيه على جسدها وببطء وفي يده سيجارة حشيش، والآن ترتجف أمام عجوز سكير.. حاولت أن تشفق عليه بدلا من الخوف ولكنه قال:

- اقتحمتِ بيتي، وصورتِ أوضة نومي علشان عاوزة خبر، عاوزة تحققي ذاتك، وأنا كمان كنت عاوز أحقق ذاتي، بس الفرق بينا، إني

كنت مجبر أحقق ذات ما اخترتهاش.. دا الفرق بين أي راجل وواحدة زيكم.

هنا نجحت محاولات عارفة بالتماسك، فقالت له ساخرة:

- هو انت دايمًا بتصيح قُدام الستات قبل ما تعتدي عليهم؟ ده جزء من الفقرة؟

ثم مالت برأسها للأمام وقالت بثقة وابتسامة مراوغة:

- ولا انت طفل سكران؟

كانت محاولة للتلاعب به، وبالفعل، بدت عليه الدهشة، وعدم الفهم، هز رأسه، وقال بحسرة:

- عينيكِ، نفس عين البت اللي حبستني، وعين مراتي وهي بتسيبني، وعين أبويا وهو بيعلّم عليّا.

ثم بدأ انفعاله يتصاعد:

- ماحدش شايفني زي ما أنا...

وأكمل حديثه مطرقًا:

- ساعات بسألني، أنا مين، أنا اللي في دماغي، ولا اللي في دماغكم!

نهض من على الفراش، ودنا منها ببطء شاهرًا سكينه:

- إيه رأيك أنقش على وشك جرحي، وأخليكِ شبهي، وأشيل الفرق اللي ما بينا!

ابتسمت، فهي تعرف أنه لن يفعلها، لأنها لم ترَ أي جروح بوجهها في كاميرا الهاتف...

الهاتف!

أين هو؟!

سؤال جديد ستحاول العثور على إجابة له بسرعة..

وقبل أن يبلغها ربيع، تصاعد صوت طرقات على باب الشقة. ظهر عليه التوتر، ثم أمسك شعرها وسحبه بشدة مردفًا:

- لو نطقتِ، هرجعلك، وأقطع رقبتك.

ثم تركها وترك السكين جانب الفازة، وجانب هاتفها، وخرج لفتح الباب.

***

حاول ربيع تصنع الهدوء، مسح بيده على وجهه وفتح الباب برفق.

برزت له مريم، ابتسمت له فور رؤيته، وقالت بلَطف:

- السلام عليكم يا عم ربيع، آسفة لو بزعجك في وقت متأخر زي دا..

ابتسم ربيع قائلًا:

- نورتيني!

قالت له بذات اللُطف:

- آسفة إني ما جيتش أقولك حمد لله على سلامتك، أنا مريم محمود، بنت عم محمود بتاع محل التليفونات.

بدأ ربيع يشعر بالانزعاج، ويتمنى في أعماقه رحيلها فقال لها مشيرًا للداخل:

- أهلًا وسهلًا، اتفضلي..

- شكرًا، أنا بس جيت أتطمن عليك، حضرتك كويس؟

رد بعدم فهم:

- كويس إزاي؟!

- مافيش حاجة اتسرقت منك؟ ما حصلكش أي حاجة لا قدر الله؟

- ليه الأسئلة دي؟

- أصل وأنا راجعة من الشغل، شُفت حضرتك واقف تدخن، ووراك بنت شكلها غريب، مستخبية، فشكيت لتكون حرامية..

اتسعت ابتسامة ربيع بشكل ملحوظ وأبلَه، حتى كاد فمه معانقة أذنيه، وأزاد من المساحة التي تركها لها للعبور، وقال بسعادة:

- لا لا مافيش حاجة، أنا كويس ما تقلقيش.

فأخبرته:

- اتأكد تاني، أنا مستعدة أروح معاك القسم!

وعدها بأن يفعل هذا، والتفتت مريم للرحيل، ولكن قبل مغادرتها، التفتت إلى ربيع مجددًا، وقالت له بأدب:

- أستأذنك، ممكن كوباية مايَة! أنا آسفة، عندي السكر وبعطش كتير.

أطلق ربيع سبة بذيئة، ولكن في سره، قبل أن يهز رأسه بأدب ويذهب لجلب الماء.

وأثناء غيابه ألقت مريم نظرة في الداخل، وتسللت لأنفها رائحة الكحول، استغربتها ولكنها لم تتعرف عليها، وعندما عاد ربيع بالماء، سمح لها بعبور عتبة البيت، صارت بالداخل وهي تسكب الماء في جوفها دفعة واحدة، قبل أن تشكر ربيع وتعيد له الكوب.

في هذه اللحظة تورطت مريم مع مثانتها، والتي امتلأتلأخرها، حتى بدأت تشعر بحركة البول وغليانه داخلها وهي تستعد للمغادرة، فكرت أن تطلب من هذا الرجل استخدام الحمام، ولكنه سجين، ورجل، وبالتأكيد سوف يسيء فهم فتاة تدق بابه بالليل وتطلب منه الدخول للحمام، عليها الصبر حتى بلوغ البيت.

تسببت لها مثانتها المزدحمة بالعديد من المشاكل قبل ذلك، واعتادت معها التورط في مواقف كهذه، ولكن ليس هذه المرة فهذا رجل وحيد، سمعت أنه اتهم باغتصاب أنثى من قبل، ويبدو أنه ليس مُرحب بها، ويريد رحيلها سريعًا.

وقبل أن تعبر عتبة الباب، التفتت له بغتة، لم تدرِ ماذا ستقول، ولكن لم يتبقَ الكثير وسوف تجلس على المقعد الخشبي القابع خلف ربيع الآن.

***

في هذه اللحظات، كانت عارفة تفتش عن مخرج، وتحاول أن تسمع ما يدور بالخارج، ولكن ما يصل لأذنيها همس وحديث ضبابي، ويبدو أن أحدهم بالخارج، هل الشرطة؟

ولكن لا توجد سارينة، ولا أضواء أو جلبة، والوضع في قمة الهدوء.

انغمست عارفة في اليأس، ومعه أطرقت رأسها في بؤس، تأملت جرحها، والدم الذي يحيطه، وعند تأملها له شعرت بالألم وكأنه يتصاعد أكثر، وكأن الجرح سعيد بلفت انتباهها فبدأ في المبالغة.

رفعت عارفة رأسها وعلى ملامحها الألم، وانزاح شعرها من على وجهها.

وهنا طرأ في ذهنها أمر خطير، ونظرت إلى النافذة بخوف، فطنت أنها تقف هناك، ليس الآن، بل في الماضي، وفي يدها الهاتف، ولا تعرف أن ربيع قرر الخروج لتدخين سيجارة بعد الاستحمام.

فقررت بسرعة، غير مكترثة لتهديد ربيع، تمرير تحذيرها لنفسها في الماضي، وهتفت، بل صرخت:

- اهربـــــــي!

***

التفتت مريم نحو ربيع، قبل عبورها عتبة الباب بخطوات، وعلى وجهها ابتسامة مترددة، لم تدرِ ماذا ستقول.

نظر إليها ربيع وحدقة عينيه على شكل علامات استفهام، لاحظتها مريم فقررت أن تكمل طريقها إلى الخارج.

ولكن قبل اكتمال القرار برأسها، ضَجَّ البيت بصرخة أنثى، قادمة من الداخل، وتحمل إشارة تحذير هامة:

- اهربـــــــي!

هذا ما سمعته مريم، فنظرت نحو ربيع بتوجس وشك، تراجعت وهي تقول مرتجفة ومشيرة نحو اتجاه الصوت:

- هو فيه إيه؟!

وكان هذا ما تحتاجه يد ربيع، لترتفع حتى تبلغ النجوم، وتهوى بقوة شديدة حملت معها كل توتره على وجه مريم البريء.

لتستقبل مريم الضربة، وتسقط على الأرض وهي لا تعلمما يدور هنا، وينمو في وجهها جرح يتسرب منه السائل الأحمر الدافئ.

أغلق ربيع الباب، ونظر نحو مريم الساقطة أسفل قدمه، ونحو المقعد الخشبي، فخر صناعته. وقرر خطوته التالية.

تذكر أنك حملت رواية سنموت بعد قليل حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

***

الفصل الخامس

النهاية

«في كل مرة تدافع فيها المرأة عن نفسها، فهي تدافع عن جميع النساء، دون أن تدرك ذلك، ودون أن تدّعي ذلك»

[مايا أنجيلو]

الساعة٠٩:١٥ ..PM

الآن بدأ المشهد الذي شاهدته عارفة أثناء المقابلة مع ربيع..

مريم جالسة على المقعد الخشبي، تحيطها الحبال المحكمة، في عينيها أطنانٌ من الخوف، وفي وجهها جرح طازج إثر الضربة التي تلقتها من ربيع.

ربيع ذو الندبة في وجهه، وكف ضخم ورثه عن والده، والذي ازداد حجمه مع شغل النجارة بالسجن الذي لا يرحم.

ظهر ربيع من خلف المقعد، بعد انتهائه من ربط مريم، ثماقترب بوجهه منها، اشتم خوفها كفريسة، ثم لحس بلسانه دماء عارفة التي يزدان سكينه بها.

ترك مريم كوجبة دسمة لخوفها، واتجه نحو الممر قاصدًاغرفة النوم، وفي عينيه قسوة.. قطنت عين والده في الماضي وانتقلت للعيش بعينيه الآن.

هنا وجدت مثانة مريم أن الوقت قد حان، فقد كانت تشعر وكأن ثمة مسامير صغيرة ودقيقة تسبح في بولها، وتجرح جدار مثانتها.. فانتفتحت على مصراعيها وراح السائل الدافيء يعبر خلال بنطالها الأسود.

رأت عيناها ما يحدث، فقالت ولِمَ لا، الحرية من حق كل السوائل،

فانهمرت دموعها وكأنها لم تبكِ منذ ميلادها.

***

دخل ربيع الغرفة، نظر إلى عارفة بقسوة، ثم صفعها بقوة.

تناول السكين من جانب الفازة، وشد شعرها حتى كاد أن يخلعه، دنا بنصل السكين من وجهها.

بدت عارفة مستسلمة، ولكن واثقة.

كتم ربيع دهشته بثباتها، وهمس بخشونة:

- على الأقل المرة دي هتحبس بجناية عملتها.

ابتسمت. وهنا قرر كشف أوراقه، والإعلان رسميًا عن دهشته، ونشر الخبر بجميع عضلات وجهه.

نظرت نحو النافذة، حيث تقف في الماضي تتمنى أي إشارة لإنقاذ نفسها، ثم ذهبت بعينيها نحو الهاتف الأرضي، وازدادت ابتسامتها قائلة:

- مش هترد على التليفون؟

نظر إليها بعدم فهم، قبل أن يسمع صرخة الهاتف الأرضي القديم، معلنًا عن مكالمة.

انتشر به الفزع، وأفلتت يده السكين ليسقط قرب قدم عارفة، وبدأت المخاوف تهمس بعقله المخمور وهو يتأملها بتوجس وحذر.

اتجه ببطء نحو الهاتف، ولكن بظهره، لم يصوب نظراته نحو أي شيء بالغرفة سوى عينيها المبتسمة، المراوغة، الساخرة.

بلغ الهاتف فاستدار ليجيب المكالمة. رفع السماعة، ويده تهتز بانفعال، وضع السماعة على أذنيه بحذر، وحاول تصنع الحدة قائلًا:

- ألو!

في هذه اللحظات كانت عارفة تحاول الدنو من السكين الملقى على الأرض، وبيدها المقيدة تحاول تناوله. وعندما نجحت في الإمساك به تراجعت بسرعة واستعادت وضعها، لأن ربيع استدار بحدة ناحيتها.

تأملها للحظة وهو يفكر، هل هذه الفودكا أم أن ثمة شيء مريب يحدث هنا!

وكانت عارفة مدركة سبب نظراته المتوجسة، فهو الآن سمع صوتًا يشبه صوتها، يخبره أنه عارفة الحقيقية!

تعرف ما يسمعه الآن، لأنها أجرت هذه المكالمة بالفعل، فلمَّا استدار مرة أخرى لتكملة المكالمة:

- كدّابة..

بدأت عارفة فك قيد يديها بالسكين..

- انتِ مين؟!

كانت قد نجحت بالفعل في تحرير يديها عندما سمعته يلقي سؤاله مرتجفًا كالأطفال.

وبدأت في تحرير قدميها وهي تكرر في ذهنها ما قالته له في المكالمة ردًا على سؤاله، لتعرف اللحظة التي ستنتهي بها المكالمة، والمناسبة للتوقف عن محاولة الفرار.

- بقول لحضرتك أنا عارفة حسانين، من جريدة أخبار بُكرة.

وعندما انتهت من قول الجملة في ذهنها، كانت قد مزقت الحبال بالفعل. وهنا انتهت المكالمة، لآن ربيع راح يهتف في سماعة الهاتف:

- ألووو! ألووو!

"طاااااااخ"

هذا صوت الفازة، التي هوت على ربيع من الخلف، وتهشمت فوق رأسه بعنف، تناثرت شظاياها على الأرض ومعها سقط جسده الكهل والدماء تنفجر من رأسه.

كانت عارفة خلفه، تنظر إليه بتحدٍ، وانتصار، تحمل في يدها هاتفها وصديقها العزيز، توطدت علاقتها معه في وقت قصير، والآن صار فارسها.

ثم شقت طريقها إلى الخارج.

***

خرجت عارفة إلى صالة المعيشة، وهناك رأت إحداهن تشغل المقعد الخشبي، ويتصاعد نحيبها في عناق حميمي مع الحبال.

لم تحتج أكثر من لحظة لتفطن أنها الفتاة التي ظهرت بالفيديو الأول، والتي عبرت من أمام البيت، وفي اللحظة التالية تركت عارفة هاتفها على الأرض خلف المقعد، واتجهت للفتاة المنكوبة لتفك قيدها.

أجفلت مريم عندما برزت أمامها الفتاة غريبة الأطوار، والتي رأتها ترتجف خلف سيارة ربيع أثناء عودتها من العمل، وهدأت عندما بدأت عارفة تمزق الحبال، وفهمت أنها صاحبة الصرخة التي حذرتها بالهروب، ويبدو أنها ضحية أخرى لربيع.

هكذا فكرت مريم، حتى نالت حريتها ونهضت من على المقعد، فكرت أن تشكر عارفة، ولكن قدماها وجدتا أن لا وقت لارتكاب الحماقات، فهرولت فور نهوضها نحو الباب الشقة بهلع، ولهفة لعناق دافئ وطويل مع والدها العجوز لم تنتظر عارفة امتنانها، وتبعتها نحو باب الشقة، وقبل بلوغه أدركت أن يدها خالية لأنها نست الهاتف خلفها، على الأرض خلف المقعد .

لم تفكر مرتين، وعادت بسرعة نحو الهاتف، وقبل أن تصل يداها له اندفع نحوها ربيع بعنف شديد، فسقطا الاثنان أرضًا ومعهما المقعد الخشبي، كانت الدماء تغطي وجه ربيع، والجنون أيضًا، والسكين لا يزال بيده، يقبض عليه بقوة ويقبض على عارفة بيده الأخرى، يمسك بشعرها ويشدها نحوه، يعتصر بيده العملاقة رقبتها الهشة، ويرفع سكينه في الهواء، ووجه عارفة صار كثمرة طماطم نضرة، تراقب نصل السكين المرتفع.. والذي ثبت في الهواء لوهلة قبل أن يبدأ بالهبوط، وبسرعة شديدة نحو وجهها..

وقبل أن يصل السكين إلى وجهها ويعبر خلال عظامه، كانت مريم قد عادت، لتوجه الشُكر لعارفة، وترد لها الدين، فمسكت المقعد الخشبي وهوت به فوق ظهر ربيع، ظهره النحيل الكهل، والذي لم يحتمل الضربة فسقط فوق عارفة وسقط سلاحه من يده، وكان المقعد يحمل سمات صاحبه، فتهشمت أجزاء منه بعد الضربة.

سحبت عارفة نفسها من تحت ربيع، أمسكت هاتفها وسبقت مريم نحو الباب، سبقتها بلحظة، لحظة واحدة كانت كافية لإنقاذ حياتها، لأن ربيع مد يده ليتشبث بأي طوق نجاة، وكان هذا الطوق هو قدم مريم، والتي سقطت وقدمها عالقة بكف ربيع .

مد يده الأخرى ممسكًا بسلاحه، ثم وثب برشاقة فوق مريم، وغرز سكينه في صدرها.

وصلت عارفة لعتبة البيت، والتفتت فور سماعها صوت الجلبة خلفها، ورأت ربيع يهوى بسكينه الذي ازدان بدماء أخرى غير دمائها، طازجة وبكميات أكثر، يهوى به فوق جسد مريم الراقدة تحته.

وجَه لها طعنة، وأضاف طعنة، ثم طعنة، وأنهى حياتها بطعنة أخرى، وكأنه ينتقم من كل امرأة سبَبت له ضررًا يومًا ما، فراح يسدد الطعنات إلى صدرها النحيل كالمجنون.

اندفعت عارفة بجسدها للوراء، وكانت قد بلغت مرحلة متقدمة من

الفزع، مرحلة لم تدرك أعصابها أنها موجودة قبل هذه الليلة.

سقطت بالخارج فوق الدوَّاسة، وتأملت جثة مريم لمرة أخيرة، حدث كل هذا لأنها حاولت إنقاذها، ولكن انتهى الأمر بأن محاولاتها لإنقاذ هذه الفتاة هي من تسببت في موتها أصلًا.

حينها كان ربيع قد انتهى من مريم، رفع رأسه المُلطخ بالدماء، ونظر إلى عارفة ببرود، وثقة، نهض تاركًا مريم كقماشة مهترئة، غارقة في دمائها، ثم اتجه نحو عارفة.

أجفلت عارفة ونهضت، وأغلقت باب الشقة بسرعة شديدة، ثم تناولت المفتاح من أسفل الدوَّاسة، وضعته في ثقب الباب ويدها ترتجف بشدة حتى كادت أن تسقط المفتاح.

وقبل وصول ربيع إلى الباب بثانية، كانت عارفة قد أوصدته أخيرًا.

سقطت عارفة على الأرض منهمكة، وما زالت قدمها تنزف، بينما يحاول ربيع تحطيم الباب من الجهة الأخرى، ولكنها كانت تشعر بالتعب الشديد، لا يمكنها مواصلة الفرار، ولكن يمكن لربيع تحطيم الباب مع كل هذا الغضب والحقد والسُكر.

وبالفعل نجح ربيع في تهشيم باب البيت.

خرج فوجد عارفة ساقطة على الأرض، وليس لديها مانع في أن تغدو ضحيته التالية.

رمق عنقها الذي يطوق لذبحه.. وخطا ناحيتها ببطء.

وهنا دوت السارينة، ولمعت الأضواء الزرقاء وغمرت المكان، وغمرت معه وجه ربيع الذابل، والذي كسته الدماء والذهول، فتح عينيه على مصراعيهما، وفي يده السلاح مُلون بدماء الجثة الراقدة في شقته بالداخل، والتي اكتشفتها أفراد الشرطة التي اقتحمت البيت.

انتشرت بقية العساكر بأرجاء الحديقة، بينما اقتربت مجموعة من

ربيع وحاصروه بأفواه البنادق، ثم جعلوه يجثو على ركبتيه، قبل إلقاء القبض عليه.

رمقت عارفة بعينيها المنهمكة الضابط الذي يسألها:

- انتِ كويسة؟

فأجابت بصوت واهن:

- اتأخرتوا أوي..

- الدعم وصل في دقايق.. حمد لله على سلامتك.

***

كانت شاردة، تقف بين تجمهر سيارات الشرطة، وتحاصرها أعين المارة والجيران الذين رأوا الشرطة والجلبة فجلبهم فضولهم، كما فعلتها قبلهم.

ولم ينتشلها من شرودها سوى الإسعاف الذي حمل جثة مريم، وخرج بها من البيت، لم تظهر ملامحها بل قماشة بيضاء صبغتها بقع الدماء.

لم تكن عارفة تعرف أن هذه الفتاة هي ابنة صاحب محل التليفونات، والذي ظهر فجأة، وازداد ظهره انحناءً، وتجمهرت بعينيه الدموع بوفرة، ورغم سنه وخشونة ركبته الا أنه رمح نحو جثة ابنته، وألقى بنفسه فوقها، وراح يبكي بحسرة على خسارته الفادحة، لو كانت سمعت نصيحته ولم تنسَ الأنسولين، لما كانت تورطت مع مثانتها التي قتلتها.

تذكر أنك حملت رواية سنموت بعد قليل حصريا ومجانا من على موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

راقبت عارفة الرجل وتذكرت جدتها، وقبل اكتمال الدمعة بعينيها رأت

العساكر تسحب ربيع نحو سيارة الشرطة، مروا بجانبها فرمقت ربيع باستحقار، وقالت بسخرية:

- المرة دي هتخسر اللي اتبقى، البيت.. ورقبتك!

لم يرد، ولم يكن واعيًا بما فيه الكفاية بما يدور حوله، ولا كيف انتهت ليلة لم يتمنَ بها أكثر من حمام دافئ والتأكد من عدم وجود متسللين.. إلى حبل المشنقة.

عبروا العساكر مع ربيع، وتبقت عارفة التي اقترب منهاالظابط وقال برفق:

- آنسة عارفة، هنحتاجك معانا علشان ناخد أقوالك.

- تحت أمرك، بس ممكن دقيقة، محتاجة أعمل مكالمة ضروري.

انسحب الضابط بأدب، تاركًا مساحتها الخصوصية.

أمسكت عارفة هاتفها، وغيرت الوقت، اختارت ساعة عشوائية ولكنها بالصباح الباكر، ثم أخرجت كارت (مريم فون)، وكتبت الرقم وضغطت اتصال.

سمعت صوت الجرس، وفاتت لحظات قبل سماعها صوت مريم الرقيق يجيبها:

- ألو، مريم فون مع حضرتك.

ارتعش قلب عارفة، واهتزت دمعة بعينيها، وقالت بنبرة هادئة:

- شكرًا.. حاولي تقضي وقت أطول مع عم محمود النهاردا، وقضي يوم لطيف، شبهك.

- مين معايا؟!

أغلقت عارفة الخط غير مبالية بسؤال مريم، لم تتوقع يومًا أنها

ستجري مكالمات مع الأموات.

وقبل أن تتجه إلى الشرطة أخيرًا.. قررت إجراء مكالمة أخيرة:

اختارت التاريخ يوم ٣١/١٢/٢٠٠٤.

واختارت وقتًا عشوائيًا، يسبق جريمة ربيع بساعات.

ثم اتصلت بالشرطة.

- ألو، لو سمحت، فيه واحدة اسمها جيهان عبد الحق قدمت بلاغ في قسم الجيزة إنها اتعرضت للاغتصاب.

فاتت لحظات راجع فيها الشرطي معلوماته قبل أن يرد:

- مظبوط.

فاستطردت عارفة حديثها:

- معايا معلومات عن الجاني، هقُلك اسمه وعنوانه، والمجني عليها هتتعرف عليه.

ثم أكملت عارفة تقديم البلاغ، مدركة أنها تتسبب في حبس ربيع للمرة الثانية، والمرتين بينهما خمسة عشر عامًا.

أنهت المكالمة، وشعرت وقتها أن العالم صار أفضل، تأملت هاتفها، ولاحظت أن بطاريته بدأت تقل بشكل واضح.

وطرحت سؤالًا جديدًا:

هل ستتحمل بطاريته تقريرًا جديدًا لأخبار بكرة؟

ولكن هذه قصة أخرى..

النهاية.

تمت بحمد الله.